98 - ـ فصل : الحر تكفيه الإشارة .

ربما أخذ المتيقظ بيت شعر فأخذ منه إشارة فإنتفع بها .

قال الجنيد : ناولني سري رقعة مكتوب فيها سمعت حاديا في الطريق مكة شرفها ا تعالى بقول .

(أبكي و ما يدريك ما يبكيني ... أبكي حذارا أن تفارقيني) .

(و تقطعي حبلي و تهجريني) .

فانظر رحمك ا و وفقك إلى تأثير هذه الأبيات عند سري حتى أحب أن يطلع منها الجنيد على ما إطلع عليه و لم يصلح للإطلاع على مثلها إلا الجنيد .

فإن أقواما فيهم كثافة طبع و خشونة فهم .

قال بعضهم لما سمع مثل هذه إلا م يشار بهذه ؟ .

إن كان إلى الحق فالحق D لا يشار بلفظ تأنيث و إن كان إلى إمرأة فأين الزهد ؟ .

و لعمري إن هذا حداء أهل الغفلة إذا سمعوا مثل هذا و لذلك ينهى عن سماع القصائد و أقوال أهل الغناء لأن الغالب حمل تلك الأبيات على مقاصد النفس و غلبات الهوى .

و من أين لنا مثل الجنيد و ستري ؟ .

و إذا وجدنا مثلهما فهما خبيران بما يسمعان .

و أما إعتراض هذا الكثيف الطبع فالجواب : أن سيرا لم يأخذ الإشارة من اللفظ و لم يقس ذلك على مطلوبه فيصيره تأنيسا أو تذكيرا .

و إنما أخذ الإشارة من المعنى فكأنه يخاطب حبيبه بمعنى الأبيات فيقول : أبكي حذارا من إعراضك و إبعادك فهذا الحاصل له .

و ما التفت قط إلى تذكير و لا إلى لفظ تأنيث فافهم هذا .

و ما زال المتيقظون يأخذون الإشارة من هذا حتى كانوا يأخذونها من هذا الذي تقوله العامة و يلقبونه بكان و كان .

فرأيت بخط ابن عقيل عن بعض مشايخه الكبار أنه سمع إمرأة تنشد : .

(غسلت له طول الليل ... فركت له طول النهار) .

(خرج ... يعاين غيري زلق وقع في الطين) .

فأخذ من إشارة معناها كان يا عبدي إني حسنت خلقك و أصلحت شأنك و قومت بنيتك فأقبلت على غيري فانظر عواقب خلافك لي .

و قال ابن عقيل : و سمعت إمرأة تقول من هذا المكان و كانت كلمة بقيت في قلقها مدة : .

(كم كنت با أقول لك ... لذا التواني غائله) .

(و للقبيح خميرة ... تبين بعد قليل) .

قال ابن عقيل : فما أوقعه من تخجيل على إهمالنا لأمور غدا تبين خمايرها بين يدي ا تعالى